الباب الثالث

الرجعـــة

شاعت عقيدة الرجعة بين الطوائف الدينيـــة ، فقد اعتقـــد الكلدانيون برجعة هابيل ، الذى قتله أخوه قابيل ، وآمنت بعض الطوائف اليهودية بالرجعة واستدلوا على ذلك بأمرين :

احدهما :

حديث عزير ، اذ أماته الله مائة عام ثم بعثه .

ثانيهما :

حديث هارون عليه السلام ، اذ مات فى التيه ، وقد نسبوا قتله الى موسى وادعوا انه حسده ، لان اليهود كانت اليه أميل منها الى موسى . واختلفوا

فمنهم من قال :
مات وسيرجع .
ومنهم من قال :
غاب وسيرجع (١)

---

(١) البهى : الجانب الالهى ج ١ ص ٨٨ ـ ٨٩

كذلك سيطرت فكرة عودة المسيح ثانية الى الارض على عقول الكتاب ، الذين اسهموا فى كتابة اسفار العهد الجديد ، لدرجة انهم حددوا موعدها . فقد جاء فى هذه الانجيل :

« ان المسيح دعا تلاميذه الاثنى عشر واعطاهم سلطانا على ارواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض ·· وأوصـــاهم قائلا : ها انا ارسلكم كغنم وسط ذئاب ، فكونوا حكماء كالحيات . وبسطاء كالحمام ·· وحتى طردوكم فى هذه المدينة ماهربوا الى الاخرى » ·

فانى الحق اقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان » ـ المسيح ـ (١)

اى ان عودة المسيح ثانية الى الارض تحدث قبل ان يكمل تلاميذه التبشير فى مدن اسرائيل (٢) كذلك انتشرت عقيدة الرجعة بين جمهور المسلمين ، اذ آمنت بها معظم الفرق الشيعية ·

● ومن الكيسانية :

● المختارية : اصحاب المختار بن ابى عبيد الثقفى ، كان خارجيا ، ثم صار زبيريا ، ثم صار شيعيا وكيسانيا · قال بامامة محمد ابن الحنفية · بعد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهما ·· وكان السيد الحميرى ـ وهو من شيعة محمد بن الحنفية

---

(١) متى ١٠ : ١ ـ ٢٣

(٢) أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقيدة المسيحية ص ١٠٢

ـ يعتقد فيه ـ أى فى ابن الحنفية ـ انه لم يمت ، وانه فى جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان ، بماء وعسل وانه يعود بعد الغيبة فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا . وهذا هو اول حكم بالغيبة والعودة بعد الغيبة ، حكم به الشيعه وجرى ذلك فى بعض الجماعه حتى اعتقدوه دينا وركنا من اركان التشيع (١) .

ومنهم من اعتقد ان عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى ـ الذى اعتقد البعض ان ابا هاشم بن محمد الحنفية أوصى بامامته ـ حيا لم يمت وسيرجع (٢) .

● ومن الزيدية :

● الجارودية : قالوا بسوق الامامة من على الى محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين ، وقد قتل فى المدينة على عهد المنصور . ومن قال منهم بامامته ، أى بامامة محمد بن عبد الله اختلفوا

فمنهم من قال : انه لم يمت ، وهو بعد حى ، وسيخرج فيملأ الارض عدلا .

ومنهم من أقر بموته ، وساق الامامة الى محمد بن القاسم ابن على بن الحسين (٣)

---

(١) الشهرستانى : ج ١ ص ١٥٠ (٢) المصدر السابق ص ١٥٢
(٣) المصدر السابق ص ١٥٧ ـ ١٥٩

● ومن الامامية :

● الباقرية : أتباع محمد بن الباقر بن على بن زين العابدين ، وابنه جعفر الصـــادق • قالوا بامامتهما وامامـــة والدهما زين العابدين • الا ان منهم من توقف على واحد منهما وما ساق الامامة الى اولادهما • ومنهم من ساق • وانما ميزنا هذه الفرقة دون الاصناف المتشيعة لتى نذكرها ، لان من الشيعة من توقف على الباقر ، وقال برجعته (١) •

● الناووسية : أتباع رجل يقال له : ناووس ، وقيل : نسبوا الى قرية ناوسا • قالت : ان الصادق حى بعد ، ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره • وهو القائم المهدى (٢) •

● الاسماعيلية الواقفة : قالوا : ان الامام بعد جعفر اسماعيل، نص عليه باتفاق من اولاده ، الا انهم اختلفوا فى موته فى حال حياة ابيه ، فمنهم من قال : لم يمت ، الا انه اظهر موته تقية من خلفاء بنى العباس •• ومنهم من قال موته صحيح ، والنص لا يرجع القهقرى ، والفائدة فى النص بقاء الامامة فى اولاده المنصوص عليه دون غيرهم ، فالامام بعد اسماعيل : محمد بن اسمعيل •• ثم منهم من وقف على محمد بن اســـماعيل وقال برجعتـــه بعد غيبته •• (٣) •

● الموسوية : فرقة واحدة قالت بامامة موسى بن جعفر نصا

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٥
(٢) أحمد بن حنبل ص ١٦٦
(٣) المصدر السابق ص ١٦٧ ـ ١٦٨

عليه بالاسم ثم ان موسى لما خرج واظهر الامامة ، حمله هارون الرشيد من المدينة فحبسه عند عيسى بن جعفر ، ثم أشخصه الى بغداد فحبسه عند السندى بن شاهك ٠٠ وقيل : ان يحيى بن خالد بن برمك سمه فى رطب فقتله وهو فى الحبس ٠٠ واختلفت الشيعة بعده ٠

فمنهم من توقف فى موته وقال : لا ندرى أمات أم لم يمت ٠

ومنهم من قطع بموته ٠

ومنهم من توقف عليه ، وقال : انه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة (١) ٠

● الاثنا عشرية : هم الذين ساقوا الامامة فى اولاد موسى الكاظم حتى محمد بن الحسن العسكرى ، وهو الامام الثانى عشر المختفى وحدث اختلاف كبير بين أتباعه عقب اختفائه حول وجوده ابتداء وحول اختفائه ، فذهب فريق الى انه وجد فقال : ان الحسن كان له لبن وليس الامر على ما ذكروا انه مات ولم يعقب بل ولد له ولد قبل وفاة ابيه بسنتين ، فاستتر خوفا من جعفر وغيره من الاعداء ، واسمه محمد وهو الامام ، القائم الحجة والمنتظر (٢)

● ومن الغالية :

● السبائية : اصحاب عبد الله بن سبا ، الذى قال لعلى كرم الله وجهه : أنت أنت ، يعنى أنت الاله ، فنفاه الى المدائن ٠

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ٠
(٢) المصدر السابق ص ١٧١

زعموا انه كان يهوديا فأسلم وكان فى اليهودية يقول فى يوشع بن نون وصى موسى عليهما السلام مثل ماقال فى على رضى الله عنه ، وهو أول من ظهر القول بالنص بامامة على رضى الله عنه ، ومنه انشعبت اصناف الغلاة ٠

زعم ان عليا حى لم يمت ، ففيه لجزء الالهى ، ولا يجوز أن يستولى عليه وهو الذى يجيىء فى السحاب ، والرعد صوته ، والبرق تبسمه ، وانه سينزل الى الارض بعد ذلك فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ٠٠ (١) ٠

● المغيرية : اصحاب المغيرة بن سعيد الهجلى ٠ ادعى أن الامامة بعد محمد بن على بن الحسين : محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن الخارج ٠٠ بالمدينة ، وزعم انه حى لم يمت ٠٠ ولما أن قتل المغيرة اختلف اصحابه ،

فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ٠٠

ومنهم من قال بانتظار امامة محمد ، كما كان يقول هـــو بانتظاره ٠ وقد قال المغيرة بامامة أبى جعفر محمد بن على رضى الله عنهما ٠ ثم غلا فيه وقال بألوهيته فتبرأ منه الباقر ولعنه ٠ وقد قال المغيرة لاصحابه : انتظروه ، فانه يرجع ، وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام (٢) ٠

* * *

كما آمن بظهور المهدى ـ وينتظر خروجه حتى الآن ـ جمهور

---

(١) احمد بن حنبل ص ١٧٤
(٢) المصدر السابق ص ١٧٦ ـ ١٧٨

اهل السنة استنادا الى احاديث وردت فى كتب السنة منها :

عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« المهدى منا آل البيت يصلحه الله فى ليله » (١) ٠

وعن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : خشينا ان يكون بعد نبينا حدث فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« يخرج المهدى فى امتى خمسا ، او سبعا ، او تسعا ٠٠ قال : قلت : اى شىء ؟ قال : سنين ٠ ثم قال : يرسل السماء عليهم مدرارا ، ولا تدخر الارض من نباتها شيئا ، ويكون المال كدوسا ٠ قال يجيىء الرجل اليه فيقول : يا مهدى ، اعطنى اعطنى ! قال فيحثى له فى ثوبه ما استطاع ان يحمل » (٢)

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أبشركم بالمهدى ، يبعث فى أمتى على اختلاف من الناس وزلازل ، فيملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما ، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض ويملأ الله قلوب أمة محمد غنى ، فلا يحتاج أحد الى أحد ، فينادى مناد ، من له فى المال حاجة : قال : فيقول رجل : أنا ، فيقال له ائت السادن ـ يعنى الخازن ـ فقل له : قال لك المهدى اعطنى ! قال : فيأتى السادن ، فيقول له . فيقال له . احتثى ، فيحتثى ، فاذا احرزه قال : كنت أجشع أمة محمد

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٨٤

(٢) المصدر السابق جـ ٣ ص ٢١ ـ ٢٢ ، والترمذى جـ ٣ ص ٣٤٣

نفسا ، أو عجز عنى ما وسعهم ، قال ، فيمكث سبع سنين ، أو ثمان سنين أو تسع سنين ، ثم لا خير فى الحياة أو فى العيش بعده (١) ٠

وعن علقمة عن عبد الله قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ اقبل فتية من بنى هاشم ، فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم اغرورقت عيناه ، وتغير لونه ٠ قال : فقلت : مانزال نرى فى وجهك شيئا تكرهه ٠ فقال : انا أهل بيت ، اختار الله لنا فى الآخرة على الدنيا ، وان اهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريدا وتطريدا حتى يأتى قوم من قبل المشرق ، معهم رايات سود (٢) فيسألون الخير ، فلا يعطونه ، فيقاتلون ، فينصرون فيعطون ما سألوا ، فلا يقتلونه ، حتى يدفعوها الى رجل من أهل بيتى فيملؤها قسطا كما ملؤوها جورا فمن أدرك ذلك منكم،فلبأتهم ولو حبوا على الثلج (٣) ٠

---

(١) ابن حنبل ج ٣ ص ٥٢

(٢) كان الشيعة جادين فى السعى لجعل الخلافة فى آل الرسول صلى الله عليه وسلم من ذرية على رضوان الله عليه فوضعوا الاحاديث تمهيدا لذلك ، ففطن لهذا الامر العباسيون فاستمالوا بعضهم . ورأى أبو مسلم الخراسانى وعصبيته أن آل على يغلب عليهم الزهد ، وان بنى العباس كبنى امية فى الطمع فى الملك ، فعمل لهم ، توسلا بهم الى تحويل عصبية الخلافة الى الفرس ، تمهيدا لاعادة الملك والمجوسيه ، وحينئذ وضعت أحاديث المهدى ، مشيرة الى العباسيين مصرحة بشاراتها ـ وهو السداد (تفسير المنار ج ٩ ص ٤٦٢) ٠

(٣) ابن ماجه : ٤٠٨٢

تدل هذه النصوص على أن عقيدة ظهور المهدى انتشرت بين كل المذاهب الاسلامية ، السنى منها والشيعى ، غير أن عناصر تكوينها مختلفة ، فقد ظهرت أولا عند الشيعة كعقيدة رجعة · اذ اعتقدت بعض الطوائف الشيعية برجعة على رضى الله عنه ، ثم تحولت الى اعتقاد فى ظهور الامام المختفى ـ أو رجعته ـ الذى سيملأ الارض عدلا بعد أن ملئت جورا ·

أما عند أهل السنة فظهرت بادىء ذى بدء اعتقادا فى ظهور رجل من اهل البيت ، يقيم العدل فى الارض ، ويمحو الظلم ·

ولا شك ان بين العقيدتين اختلافا ، فالشيعة تؤمن برجعة امام مات أو اختفى أما أهل السنة فيؤمنون بظهور رجل ، وجوده عادى ، اذ يولد من اب وام ، وقد تكون حياته عادية ، الى ان يظهر بالدعوة فيؤيده الله لتتحقق مشيئته فى القضاء على الظلم واقامة العدل بين الناس لكنهما يشتركان فى الدافع النفسى لهذه العقيدة ، فالظلم واقع على كليهما :

فقد تعرض الشيعة لاضطهاد الامويين ، ثم العباسيين ، الذين لم يرحموا أئمتهم ، ولم يتركوا المشايعين لهم يستقرون فى مكان ، بل تعقبوهم ، واعملوا السيف فى رقابهم ، وزجوا من نجا منهم من السيف فى غياهب السجون ، فضاقت الحياة بآل البيت واتباعهم فتبخرت آمالهم فى الهواء ، فيئسوا من قدرتهم على الاستيلاء على السلطة ، وبلغ اليأس بهم درجة الاستسلام لاحلام اليقظة ، فهيأت لهم نفوسهم اليائسة من الخروج من الواقع الاليم ـ صورا وردية ، صور انقاذهم مما هم فيه وتمثل ذلك فى ظهور شخص ، له من القوة ما يفوق قوى الدولة ، التى أنهكتهم ، ولن يكون ذلك الا اذا كان مؤيدا ، من الله ، الذى أمر رسوله ذلك بقوة اهلكت أهل الشر جميعا ، ذلك الشخص : هو المهدى ·

امدتهم هذه الصورة بالامل ـ والانسان اذا كان فى محنة ، تعلق بالآمال حتى ولو كانت احلام اليقظة مصدرها ـ فتعلقوا به وآمنوا بأنه سيتحقق ، فصار ظهور المهدى عقيدة لهم . يتصيدون الادلة على صحتها من هنا وهناك .

اما اهل السنة ، فقد تعرضوا ايضا لظلم ولاة الامويين وعسفهم وجورهم فتمنوا الخلاص منهم ، فلما طالت فترة حكمهم ، ظهرت امانيهم فى الاعتقاد فى ظهور من يخلصهم من هذا الظلم . ولهذا نجد احاديث المهدى تركز على ناحيتين ، هما الآفتان الرئيسيتان اللتان تعانى منهما المجتمعات الانسانية ، اولاهما الظلم والفقر اذ يوعدون فى هذه الاحاديث :

بان المهدى سيملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا .

وبان المال سيفيض عن الحاجة ، فلا يحتاج احد الى احد .

واحاديث المهدى كلها آحاد ، ومما يزيد فى ضعف حجيتها أن البخارى ومسلم ـ وهما اكثر جامعى الاحاديث حرصا فى التحقيق والتدقيق ـ لم يأتيا بحديث واحد عن المهدى فى صحيحيهما مما يجعلنا نحكم بان ظهور المهدى ليس من المسائل المجمع عليها ، اذ لم يرد ذكره فى القرآن والاحاديث التى وردت فيـــه آحادا . . ومتعارضة (١) فمنكره ليس كافرا .

---

(١) . . وأما التعارض فى احاديث المهدى ، فهو اقـــوى واظهر . والجمع بين الروايات فيه أعسر ، والمنكرون لها اكثر . والشبه فيها أظهر . ولذلك لم يعتد الشيخان بشىء من رواياتها فى صحيحيهما تفسير المنار جـ ٩ ص ٤٥٩

كما ان عقيدة الرجعة ليست من المسائل المجمع عليها عند الشيعة . فقد انكرها محمد الباقر حين سئل :

هل دنكم اهل البيت من يعتقد بالرجعة ؟

قال . لا (١) .

كذلك أنكرها زيد بن على بن زين العابدين (الذى نسبت اليه طائفة الزيدية) وان أمر ظهور المهدى بالمعنى المفهوم عند أهل السنة . اذ كان يعتقد ان المهدى : هو الخارج على الظالم ، المجدد الفقهى . وهو الذى يخرج مجاهدا فى سبيل الله ليملأ الارض عدلا (٢) .

***

● اما رجعة عيسى عليه السلام فيؤمن بها جمهور اهل السنة استنادا الى :

اولا . قول الله تعالى :

« وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » (٣) .

فارجعوا الضمير فى « به » و « موته » الى عيسى . والمعنى ما من احد من اهل الكتاب : يهوديهم ونصرانييهم الا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت عيسى .

---

(١) النشار ص ١٣٨ (٢) المصدر السابق ص ١٦٥

(٣) النساء : ١٥٩

قالوا أخبرت هذه الآية ان أهل الكتاب سيؤمنون بعيسى قبل ان يموت ، وهم لم يؤمنوا به الى الآن . على الوجه الذى طلب منهم . فلابد ان يكون عيسى الى الآن حيا ، ولابد أن يتحقق هذا الايمان به قبل موته وذلك انما يكون عند نزوله آخر الزمان » .

وقوله تعالى .

« **وانه لعلم للساعة فـــلا تمترن بها** » (١) .

فقد فسروا هذه الآية بان نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان من علامات الساعة .

وثانيا : ما ورد فى السنة :

فقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد » (٢) .

وروى برواية اخرى فى كتاب الانبياء :
« والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب ، ويفيض

---

(١) سلنوت : ص ٧١ ، والآية من سورة الزخرف : ٦١
(٢) منح البارى جـ ٤ ص ١١٤

المال حتي لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها » . ثم يقول ابو هريرة : واقرأوا ان شئتم : « **وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا** » (١) .

● غير ان هذا الراى فى تفسير الآيتين ليس مجمعا عليه ، فقد ورد فى تفسير الآية راى آخر ، رواه ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس :

لا يموت يهودى ولا نصرانى حتى يؤمن بعيسى . فقال عكرمة أرأيت لن خر من بيت ، أو احترق ، أو اكله السبع ؟ قال : لا يموت حتى يحرك شفتيه بالايمان بعيسى .

قال النووى :

معنى الآية على هذا : ليس من أهل الكتاب أحد يحضره الموت ، الا آمن عند المعاينة قبل خروج روحه بعيسى،وانه عبدالله، وابن امته ، ولكن لا ينفعه هذا الايمان فى تلك الحالة ، كما قال تعالى : « **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت ، قال : انى تبت الآن** » (٢) ، قال : وهذا المذهب أظهر لان الاجل يخص الكتابى ، الذى يدرك نزول عيسى ، وظاهر القرآن عمومه فى كل كتابى فى زمن نزول عيسى وقبله (٣) .

اما الراى الآخر الذى ورد فى تفسير الآية الثانية فهو :

---

(١) المصدر السابق جـ ٦ ص ٤٩٠ ـ ٤٩١

(٢) النساء : ١٨ (٣) فتح البارى جـ ٦ ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣

ان عيسى علم للساعة ، أى ان حدوثه من غير أب دليل على امكان الساعة .

أو أن باحيائه الموتى دليل على امكان البعث والنشور .

ومن هذا يتبين أن احتمال الآيتين لمعنى آخر ، غير نزول عيسى . دليل على انهما ليستا نصين قاطعين فى نزوله عليه السلام .

أما الاحاديث التى اخبرت بنزول عيسى عليه السلام ، فقد قالوا فيها : انها آحاد ، ونزول عيسى من الامور العقدية ، التى لا تثبت الا بالقرآن أو بالحديث المتواتر فاذا انتفى الاول لوجود رأيين فيما ورد فيه من آيات حول هذا الموضوع ، ولم يتحقق الثانى لان أحاديث نزول عيسى ليست متواترة ، فقد انتفت قطعية دلالة هذه الاحاديث على نزوله ، وقد فسر الشيخ شلتوت القول فى هذا حيث يقول :

« وموجز ما نقول فيها : انها لا تخرج عن كونها احاديث آحاد ، واحاديث الآحاد مهما صحت لا تفيد يقينا يثبت عقيدة يكفر منكرها » .

وانه ليؤسفنى ان ارى قوما تظاهروا بالانتساب الى الدين ، والغيرة على احاديث الرسول استباحوا لانفسهم — فى سبيل اغراضهم الدنيا — ان يصطنعوا كل اساليب التلبيس والتمويه فى شأن احاديث عيسى ، التى لا يمكن ان يكون منها متواترا حتى على أوسع الآراء فى تحققه ، وهى مع آحاديتها يكثر ويشتد فى معظمها ضعف الرواة واضطراب المتون ، ونكارة المعانى ، فتراهم يقولون هى متواترة قد رواها فلان وفلان من الصحابة والتابعين . وذكرت

فى كتاب كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين ، فاذا رأوا فى بعضها ضعفا او اضطرابا ، او نكارة ، حاولوا التخلص من ذلك ، فقالوا : ان الضعيف منها منجبر بالقوى ، وان العدالة لا تشترط فى رواة المتواتر • وهكذا يخلعون عليها ثوبا مهلهلا من القداسة ، لا رغبة فى علم ، ولا غيرة على حق ، ولكن مكابرة وعنادا ، واصرارا على التضليل ، وليقال على ألسنة العامة ، واشباه العامة : انهم حفاظ وانهم محدثون » (١) •

أما الاجماع الذى استدل به جمهور علماء المسلمين على نزول عيسى عليه السلام فلم يسلم من النقد ، اذ قيل فيه ان الاجماع فى الامور الغيبية لا يتحقق ، لان المجمعين لا يعلمون ما اجمعوا عليه ، الا من حيث هو منقول عمن يطلعه الله على الغيب ، فهو راجع الى المنقول ، يقول الشيخ شلتوت :

« ان الذين ذهبوا الى حجية الاجماع لم يتفقوا على شىء يحتج به سوى الاحكام الشرعية العملية ، اما الحسيات المستقبلة من أشراط الساعة وأمور الآخرة فقد قالوا : ان الاجماع عليها لا يعتبر من حيث هو اجماع ، لأن المجمعين لا يعلمون الغيب ، بل يعتبر من حيث هو منقول عمن يطلعه الله على الغيب ، فهو راجع الى الاختبارات فيأخذ حكمها وليس من الاجماع المخصوص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الحسى المستقبل لا مدخل للاجتهاد فيه ، فان ورد به نص فهو ثابت به ، ولا احتياج الى الاجماع وان لم يرد به نص فلا مساغ للاجتهاد فيه » •

وعلى هذا تخضع جميع الاخبار ـ التى تتحدث عن اشراط

---

(١) شلتوت : ص ٧٧ ـ ٧٨

الساعه ، ومن بينها نزول عيسى ـ الى مبدأ قطعية النصوص وظنيتها فى الورود والدلالة (١) ٠

ثم يبين ان هذه المسألة مختلف فيها قديما وحديثا

أما قديما فقد نص على ذلك ابن حزم فى كتابه ، مراتب الاجماع ٠٠ حيث يقول :

« واتفقوا على انه لا نبى مع محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا بعده ابدا ، الا انهم اختلفوا فى عيسى عليه السلام : أياتى قبل يوم القيامة ام لا ؟ وهو عيسى ابن مريم المبعوث الى بنى اسرائيل قبل مبعث محمد عليه السلام » ، كما نص عليه أيضا القاضى عياض فى شرح مسلم ، والسعد فى شرح المقاصد ٠

وأما حديثا : فقد قرر ذلك كل من الاساتذة المغفور لهم : الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا والاستاذ الاكبر الشـــيخ المراغى ٠

فالشيخ محمد عبده يقول فى تفسيره آية آل عمران :

« **اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى** » (٢)

ان للعلماء هنا طريقتين :

احداهما وهى المشهورة : انه رفع بجسمه حيا ، وانه سينزل فى آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ، ثم يتوفاه الله ٠

---

(١) المصدر السابق ص ٧٩ ـ ٨٠ (٢) آل عمران : ٥٥

والطريقة الثانية : ان الآية على ظاهرها ، وان التوفى على معناه الظاهر المتبادر منه ، وهو الاماتة العادية ، وان الرفع يكون بعده ، وهو رفع الروح .. الخ .

ثم يذكر :

« ان لاهل هذه الطريقة فى أحاديث الرفع والنزول تخريجين :

احدهما : انها آحاد تتعلق بأمر اعتقادى ، والامور الاعتقادية لا يؤخذ فيها الا بالقطعى وليس فى الباب حديث متواتر .

وثانيهما : تأويل نزوله وحكمه فى الارض بغلبة روحه ، وسر رسالته على الناس ، وهو ما غلب فى تعليمه من الامر بالرحمة والمحبة والسلم ، والاخذ بمقاصد الشريعة ، دون التوقف عند ظواهرها ، والتمسك بقشورها دون لبابها (١) .

ولما تلقى السيد رشيد رضا سؤال حول هذا الموضوع (٢) ، اجاب السائل بعرض للآيات وآراء المفسرين فيها ثم قال : « وجملة القول انه ليس فى القرآن نص صريح فى ان عيسى رفع بروحه وجسده الى السماء حيا حياة دنيوية بها ، بحيث يحتاج بحسب سنن

---

(١) تفسير المنار ج ٣ ص ٣١٦ ـ ٣١٧

(٢) « ونص السؤال : ما حال سيدنا عيسى الآن ؟ واين جسمه من روحه ؟ وما قولكم فى الآية « **انى متوفيك ورافعك الى** » وان كان حيا يرزق كما كان فى الدنيا فمم يأتيه الغذاء الذى يحتاج اليه كل جسم حيوانى كما هى سنة الله فى خلقه ؟

الله تعالى الى عذاء ، فيتوجه سؤال السائل عن عذائه ، وليس فيه نص صريح بانه ينزل من السماء ، وانما هى عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الاسلام بثها فى المسلمين (١) .

اما المغفور له الاستاذ الاكبر الشيخ المراغى ، فقد اجاب عن سؤال اجابة جاء فيها : « ليس فى القرآن الكريم نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه ، وعلى انه حى الآن بجسمه وروحه . وقول الله سبحانه : « **اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا** » (٢) الظاهر منه انه توفاه وأماته ، ثم رفعه ، والظاهر من الرفع بعد الوفاة انه رفع درجات عند الله . كما قال فى ادريس عليه السلام : « **ورفعناه مكانا عليا** » (٣) . وهذا الظاهر ذهب اليه بعض علماء المسلمين فهو عند هؤلاء ، توفاه الله وفاة عادية ، ثم رفع درجات عنده فهو حى حياة روحية كحياة الشهداء ، وحياة غيره من الانبياء . لكن جمهور العلماء على انه رفعه بجسمه وروحه فهو حى الآن بجسمه وروحه . وفسروا الآية بهذا بناء على أحاديث وردت كان لها عندهم المقام الذى يسوغ تفسير القرآن بها ، ثم قال « ولكن هذه الاحاديث لم تبلغ درجة الاحاديث المتواترة التى توجب على المسلم عقيدة . والعقيدة لا تجب الا بنص من القرآن ، أو بحديث متواتر » . ثم قال : وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى عليه السلام حى بجسمه وبروحه ، والذى يخالف فى ذلك لا يعد كافرا فى نظر الشريعة الاسلامية » .

---

(١) راجع ص ٨١ من الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين للمنار .

(٢) آل عمران : ٥٥ . (٣) مريم : ٥٧

ثم يعقب الشيخ سلتوت على ذلك فيقول :

« هذه نصوص صحيحة يقرر بها هؤلاء العلماء قديما وحديثا ان مسالة عيسى مسألة خلافية وان الآيات المتصلة بها ظاهرة فى موته عليه السلام موتا عاديا ، وان الاحاديث الواردة فيها احاديث آحاد لا تثبت عقيدة ، وهى مع هذا تحتمل التأويل وانه لا يكفر المسلم بانكار رفع المسيح أو نزوله » (١) .

لم يستطع الراى المعارض لعودة المسيح عليه السلام أن يشق طريقا له بين جمهور المسلمين ، فظل محصورا بين أشخاص معدودة من العلماء الذين اعتنقوه ، اما جمهورهم ومن ورائهم جميع المسلمين ـ فقد آمنوا بعودته ، مستدلين بما ورد فى القرآن الكريم من آيات تحدثت عن نجاته من اليهود ، ورفعه الى السماء ، وأحاديث اخبرت بانه سينزل فى آخر الزمان ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير .. و .. و .. الخ .

ولم يرجع شبه الاجماع على عودة المسيح الى ما استدل به المؤيدون من آيات واحاديث فقط ـ لانها لا تدل بالنص القاطع على ذلك كما سبق بيانه ـ بل الى استعداد النفس البشرية لاعتناق هذا الرأى ، ذلك ان الانسان يعتقد فى عودة من اختفى عن الحياة العادية فى حالتين .

الاولى : حبه الشديد له .

فالاعتقاد فى رجعة انسان معين .. تنم عن تقدير المعتقد لهذا الانسان المعين وعن حبه له . بل عن شدة الوله به . وعن هذا

---

(١) المصدر السابق ص ٨١ ـ ٨٢

الحب الشديد والرغبة المتزايدة فى الحرص على بقائه ولقائـــه ومحادثته يبشأ شك المحب فى قتل من يحبه أو موته ، لو سمع بأنه قتل أو مات (١) • فاذا اصطدم بالحقيقة الواقعة ، وهى انه لم يعد يراه يقظة ولم يعد يتحدث ليه مشافهة بعد فوات وقت طويل على ذلك ، لم يصدق بموته ، او بقتله مع ذلك ويؤمن بغيبته فحسب • ثم بناء على ذلك بأوبته ورجعته يوما ما ، طالت فترة الغيبة أم قصرت • لان الحب القوى يخلق املا قويا ، قد يتعارض مع واقع الامر والنفس موزعة بين الامل القوى والواقع الذى لا مراء فيه ، لا نركن الى طرف منهما وهذه حال الشك •

لكن عيشة النفس فى الامل اهنأ وأرغد ، لأن متعتها فيه اطول ، ولانه ملجؤها عند فرارها من الواقع • ولهذا ترجح البقاء فيه عند النزول الى عالم الحقيقة وهذا هو حال ترجيح أحد طرفى الشك • وهو هنا ترجيح غيبة المحبوب دون الاعتقاد بقتله أو موته الذى يمثله الواقع • ثم يصبح هذا الترجيح عقيدة بالغيبة •

فاذا اطمأنت لنفس عندئذ الى غيبة المحبوب ، تحول هذا الاطمئنان الى أمل قوى فى عودته ، لانها شديدة الحرص قبل على رؤيته يقظة ومشافهة فى الحديث • ثم يتحول هذا الامل بعد مرور فترة أو فترات عليه الى عقيدة برجعته •

فاذا ما اصبحت الرجعة عقيدة للنفس ، تخيلت وقتها فحددته ، وفى أول الأمر تقصر لفترة التى تتوقع بعدها الآية ، لأن الامل القوى

---

(١) وعمر رضى الله عنه فيما يروى عنه عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من انه قال : « من قال أن محمدا قد مات قتلته بسيفى هذا » • لم يقل غير ما تمليه الطبيعة الانسانية •

يوحى بذلك • فاذا اشرفت الفترة المحدده على النهايه ، أو انتهت بالفعل ومع ذلك لم يعد المحبوب الذى اعتقد بعودته ، أول اصحابه فى الوقت ، وشرحوه بغير المألوف والمتعارف ، حتى يستطيعوا التوفيق بين الحقيقه والعقيده فاليوم فى نظرهم ليس كأيامهم العادية والسنة ليست كتلك السنين التى تمر بالانسان العادى •

وبهذا نرى الرجعة والاعتقاد بها مرحلة اخيره فى طريق تبتدئه النفس بالحب وتتوسطه بالامل • ومن هنا كانت عقيدة الرجعة تعتبر من الظواهر النفسية العامة التى لا تختص بها جمـــاعة انسانية • دون جماعة اخرى ، وظهورها فى الجماعه يتوقف فقط على محبين ولهين لشخصية عزيزة فيها (١) •

وينطبق هذا على الذين آمنوا برجعة الامام الغائب من الشيعه وعلى من آمن من النصارى بالرجعة الثانية لعيسى عليه السلام ، كما جاء فى العهد القديم الموجود الآن بين ايدى النصارى •

الثانية : الامل فى نصر ساحق على الاعداء •

يشيع هذا الامل بين كل افراد المجتمعات الانسانية ، ولكن لا يترتب عليه ظهور عقيدة الرجعة فى المجتمع ، الا اذا كان الصراع قائما على اساس دينى ، فالمطالبون بحقهم المستند ـ فى رأيهم ـ على نصوص شرعية ، يعتقدون انهم مؤيدون من السماء وان النصر حليفهم ، فهم قادرون على سحق الاعداء ، وسيسيطرون على مقاليد الامور فى الدولة • فاذا ما انتكست جبهتهم ، فضاع سلطانهم وتبددت قواهم ، وأصبحوا عاجزين عن مواجهة القوة الاخرى ،

---

(١) الجانب الالهى : جـ ١ ص ٩٢ ـ ٩٤

دفعهم الامل فى النصر الى الاعتقاد فى ظهور امام له من القوة ما تفوق هذه القوة المادية ، وعندها سيكون النصر حليفهم • فيسحقون أعداءهم •

مرت الشيعة بهذه المرحلة ، اذ اضطهدهم الامويين ، ثم العباسيون ، فقتلوا أئمتهم ، وشردوا أتباعهم • ولما ضاقت بهم الارض ، عاشوا فى أمل تخيلوه ، ثم آمنوا بوقوعه ، فوضعوا الاحاديث التى تنبىء بما يجول فى نفس مضطهدة • اذ جاء فى احاديثهم ان الامام سيظهرهم على من عداهم فآمنوا برجعته ليخلصهم من هذا الاضطهاد ، كما شاعت أيضا عقيدة ظهور المهدى بين أهل السنة ، لانهم ربطوا خلاصهم من الاستبداد والظلم بظهوره ، ولهذا نرى أن احاديث المهدى تتحدث عن انه سيملأ الارض عدلا ، كما ملئت جورا وظلما •

***

اجتاحت العالم الاسلامى فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى حالة من اليأس فى العصر على المستعمر الأوروبى ، اذ بلغت سيطرته على البلاد الاسلامية ذروتها فى ذلك التاريخ ، فتوجه المسلمون الى مصدر القوة التى لا تقهر ، الى الله سبحانه وتعالى ، ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هى خاتم الرسالات السماوية ، ـ فلن يبعث رسول برسالة أخرى ـ ترقب المسلمون ظهور المهدى المؤيد من الله كى يخلصهم من هذا الكابوس الاستعمارى ، كما توقعوا قرب نزول المسيح عليه السلام ، ليحكم بالقرآن الكريم ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير •• و •• و •• الخ • فاستقبل الانجليز هذا الوضع النفسى للمسلمين فدفعوا بعميل لهم ـ هو ميرزا غلام احمد ـ الى ساحة الدعوة الدينية ، ليحد من تيار الدعوة الى الجهاد ضد استعمر ـ لانه فسره على نحو يبطل فرضيته ـ فادعى أنه هو المسيح الذى أخبر بنزوله ، وينتظره

المسلمون ليخلصهم من الاستبداد ، وليمكن لدين الله فى الارض ٠ ومما قاله ميرزا فى هذا الصدد :

« أيها الناس : اذا كنتم اصحاب ايمان ودين فاحمدوا الله واسجدوا لله شكرا ان العصر الذى قضى آباؤكم حياتهم فى انتظاره ولم يدركوه ، وتشوقت اليه ارواح ولم تسعد به قد حل وأدركتموه واليكم وحدكم ان تقدروا هذه النعمة ، وتنتهزوا هذه الفرصة ، سأكرر ذلك ، ولا أفتا اذكره اننى ذلك الرجل الذى ارسل لاصلاح الحق ليقيم هذا الدين فى القلوب من جديد ٠٠ ان لى شبها بفطرة المسيح ليدك العقيدة الصليبية ، فقد ارسلت لكسر الصليب وقتل الخنازير ٠٠ » (١)

كان غرض الانجليز من دفعه الى الجهر بهذه الدعوة ان يؤمن الناس به ويلتفوا حوله ، فيكون زمام الامر بأيديهم ـ اى الانجليز ـ لانهم سوف يملون على زعيم المسلمين الروحى ـ لو آمن الناس بصدق ادعائه بانه المسيح ـ ما يريدون ٠٠ وبذلك تتحقق سيطرتهم على المسلمين ، اذ بعد ما فشلت محاولة الاستعمار فى ابعاد المسلمين عن الاسلام ، سلك اسلوب تبنى الحركات الاسلامية المنحرفة ـ بل هو الذى دفع بعض الاشخاص الى انشائها ـ ليوجهها نحو الهدف الذى يريده وكانت القاديانية ، هى احدى هذه الحركات ، تبناها الانجليز ، وأوعزوا الى مؤسسها ليدعو الى مزج الاسلام بالمسيحية ، كى تضعف مقاومة المسلمين للمستعمر المسيحى ، فوجد ميرزا فى عقيدة رجعة عيسى عليه السلام خطوة اولى على هذا الطريق ، ثم حاول مزج الاسلام بالمسيحية فى تعاليمه ، ودفعه الى ذلك أيضا ، ما شاهده فى الدين الهندوسى من مزج للآراء المختلفة

---

(١) القاديانى والقاديانية ص ٥٧ ـ ٥٩

المصادر ، فسار على هذا الدرب مقلدا ، وللانجليز معاونا ٠

لو لم توجد عقيدة رجعة عيسى عليه السلام عند المسلمين ما ادعى ميرزا غلام احمد انه المسيح ، ولو لم ينشأ قريبا من المجتمع الهندوسى ما حاول مزج الاسلام بالمسيحية ، ولو لم يوجد الاستعمار الانجليزى فى الهند ، ما نحا ميرزا غلام أحمد فى دعوته نحو هذا الاتجاه لتأويل النصوص الاسلامية تأويلا متعسفا ارضاء للاستعمار ٠

obeikandl.com